برنامج الدَّرس الواحد السادس
الدَّرس (٢٢)، ١٤٢٨

سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

تطريز

فضيلة الشيخ صالح بن عبد الله العصيمي

حفظه الله تعالى

مقالة «كلا»

وما جاء منها في كتاب الله

تصنيف العلامة اللغوي

أحمد بن فارس المالكي

المتوفى سنة ٣٩٥ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالىٰ

النُّسخة الإلكترونيَّة (الأولىٰ)

الشيخ لم يراجع التفريغ

[السلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّنا، وأشهد أَلَّا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله.

أما بعد؛ فهذا هو الدرس **الثاني والعشرون**، من برنامج **الدرس الواحد السادس**، والكتاب المقروء فيه هو «**مقالة كلَّا**» للعلامة ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وقبل الشروع في إقرائه لابد من ذكر مقدمتين اثنتين:

المقدِّمة الأولىٰ: التَّعريفُ بالمصنِّف؛ وتنتظم في ثلاثة مقاصد:

المَقْصَدُ الأوَّلُ: جَرُّ نَسَبِه؛ هو العلامة اللُّغوي أحمد بن فارس بن زكريّا القُزوينيُّ المالكيّ، يُكْنىٰ بأبي الحُسين، ويُعرف بابن فارس نسبةً لأبيه.

المقصَدُ الثَّانِي: تاريخُ مَولِدِه؛ لم يذكر أحدٌ من المترجمين له السَّنةَ التي وُلد فيها.

المقصَدُ الثَّالثُ: تاريخُ وفاته؛ توفي رَحِمَهُ ٱللَّهُ علىٰ أصح الأقوال سنة خمس وتسعين وثلاثمائة (٣٩٥)، ولم يقدِّر أحد من المترجمين له مدة عمره، ولا أمْكنت معرفتها للجهل بميلاده.

المقدِّمة الثانية: التَّعريف بالمصنَّف؛ وتنتظم في ثلاثة مقاصد أيضًا:

المقصد الأوَّل: تحقيق عنوانه؛ ...

المقصد الثَّاني: بيان موضوعه؛ ...

المقصد الثالث: توضيح منهجه؛ ...

قال المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذه -أكرمك الله وأيدك ووفقك- مقالة كلا، ومعنىٰ ما جاء من هذا الحرف في كتاب الله تعالىٰ، واختلاف أهل العلم في موضوعه، وأين تقع نفيًا، ومتىٰ تقع تحقيقًا. وقد فسرنا ما لاح من ذلك واتجه، ودللنا علىٰ الأصح من ذلك بشواهد من غير إحالة. وبالله التوفيق.

قال بعض أهل العلم إن كلا تجيء لمعنيين: للرد، والاستئناف.

وقال قوم: تجيء (كلا) بمعنىٰ التكذيب.

وقال آخرون: (كلا) ردع، وزجر.

وقال آخرون: (كلا) تكون بمعنىٰ حقًّا.

وقال قوم: (كلا) رد وإبطال لما قبله من الخبر، كما أن كذلك تحقيق وإثبات لما قبله من الخبر. قال والكاف في قوله: (كلا) كاف تشبيه، و(لا) نفي وتبرئة.

وقال بعضهم: (كلا) تنفي شيئًا وتوجب غيره. فهذا ما قيل في كلا.

وأقرب ما يقال في ذلك أن (كلا) تقع في تصريف الكلام علىٰ أربعة أوجه:]

أوّلها الرّد.

والثّاني: الرّدع.

والثّالث: صلة اليمين وافتتاح الكلام بها كـ (ألَا).

والوجه الرّابع: التّحقيق لما بعدها من الأخبار.

وسأذكر ما جاء منها في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ علىٰ ترتيب هذه الوجوه الأربعة بعد حكاية لمقالة من زعمأنّ (كلّا) منحوتة من كلمتين وأنّ الكاف للتشبيه، والرد علىٰ قائل ذلك إن شاء الله تعالىٰ.

استقصىٰ المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذا الموضع بيان أقوال أهل العلم في حقيقة (كلّا) فذكر أنهم مُختلفون في بيان معناها علىٰ وجوهٍ عِدة مُختلفة.

وقد نقل ابن هشامٍ في «مُغني اللبيب» أنّ جمهور أهل العلم علىٰ إثبات معنىٰ الرّد فيها؛ لكنهم اختلفوا في زيادة معنًىٰ ثانٍ أو ثالثٍ أو رابعٍ علىٰ هذا المعنىٰ، وكأنها موضوعةٌ في أصل كلام العرب في أشهر معانيها لهذا المعنىٰ الذي اتفق جمهورهم علىٰ عدِّه وهو الرَّد.

ثم وقع الخُلف بينهم فيما زاد علىٰ ذلك من المعاني علىٰ أقوالٍ مُختلفة، ولمّا حكىٰ المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ

تَعَالَىٰ أقوالهم المتباينة بين أن القول المختار عنده: هو أن (كلا) تقع في تصريف الكلام علىٰ أربعة وجوه:

أولها: الرد.

وثانيها: الردع.

وثالثها: صلة القسم، وتكون بمنزلة (ألَا).

ورابعها: التحقيق لما بعدها من الأخبار.

وقد أجملَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عدَّها، ثم سيعود إلىٰ تفصيله بسرد كلِّ واحدٍ من هذه المعاني وقرنه بشواهده من القرآن، ثم يختم بمثل هذا الإجمال تقريرًا لما صار إليه اختياره من أن (كلا) تقعُ في كلام العرب، وفي القرآن الكريم علىٰ هذه المعاني الأربعة.

ثم نبّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ أنه سيذكر فيما يُستقبل الرّد علىٰ قول من قال: إن (كلا) منحوتةٌ من كلمتين، وهما: الكاف للتشبيه، و(لا) للنهي.

وسيذكر إبطال هذا المذهب، ويبيِّن أنَّ المختار عنده القول: بأن (كلا) كلمةٌ [بسيطة] غير مُركبة.

زعم بعض المتأخّرين أنّ (كلّا) ردّ وإبطال لما قبله من الخبر، كما (أنّ) كذلك تحقيق وإثبات لما قبله من الخبر، والكاف في قولنا: (كلّا) كاف تشبيه، وزعم أنّ أصل (كلّا) التّخفيف، إلّا أنّهم كانوا يُكرّرون (لا)، فيقولون: هذا الشّيء كلَا ولا، ثمّ حذفوا إحداهما وشدّدوا الباقي طلبا للتّخفيف. قال ومنه قول الشّاعر:

قَبِيلِـي وأَهلِـي لَهـم ألَاقَ مَشُـوقهم ... لوشـكِ النَّـوَىٰ إلّا فواقـا كـلَا ولَا

قالوا: وربّما تركوه علىٰ خفّته ولم يثقّلوه. وذلك كقول ذي الرمّة:

أَصَـابَ خَصَاصـةً فَبَـدَا كَلِـيلاً ... كـلَا وانغـلَّ سَـائرُه انغِـلَالَا

ومنه قول جرير:

يَكُونُ وقوفُ الرَّكـبِ فِيهَـا كـلَا ولَا ... غَشاشًا ولَا يدنُونَ رَحـلاً إلَـىٰ رَحـلِ

قلنا: هذا كلام مدخول من جهتين:

إحداهما: أنّه غير محفوظ عن القدماء من أهل العلم بالعربيّة.

والثّانية: أنّه ممّا لا يتأيّد بدليل.

والأمرين (كلَّا) مُشدّدة وبين (كلَا) مخفّفةً مبين جدّا، وذلك أنّ قول القائل: (هذا شيءٌ كلَا)، إنّما هو تشبيه الشّيء في حقارته وقلّته، وأنّه لا محصول له بـ(لا)، وذلك أنّ (لا) كلمة نفي.

وأمّا (كلَّا) فكلمة مشدّدة بعيدة عن التشبيه بـ(لا)، واعتبار ما قلناه، أنّك لو حملت قوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾﴾ [المدثر] علىٰ معنىٰ أنّه (كَلَا ولَا والقمر) كنت عند أهل العربيّة كلّهم مخطئا؛ لأنّ (كَلَا ولَا) ليس بموافق لقوله: (والقمر).

فإن قال قائلٌ فما الأصل فيها؟

قلنا: إنّ (كلَّا) كلمةٌ موضوعةٌ للمعاني التي قد ذكرناها مبنيّة هذا البناء، وهي مثل (إنّ) و(لعلّ) و(كيف).

وكلّ واحدةٍ من هذه مبنيةٌ بناءً يدل علىٰ معنىٰ.

فكذا (كلَّا) مبنيةٌ بناءً يدل علىٰ المعاني التي نذكرها.

وهذا قول قريب لا استكراه فيه وبالله التوفيق.

ذكر المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هنا رد قول من قال: إن (كلَّا) كلمةٌ مُركّبة، وأنّ أصل الكلمة (كَلَا لَا) فإن العرب قد تُبالغ في النفي بتكريره، فتقول: (لا لا) علىٰ إرادة تحقيق ذلك النفي.

ثم يوصف الشيء المنفي بنسبته إلىٰ هذا النفي فيُقال: إن هذا الأمر كَلَا؛ يعني: كَلا شيء.

وقد يقع التكرير فيقولون: (كَلَا لَا).

ثم كراهية للتطويل أدغموا الكلمة الثانية في الكلمة الأولىٰ، وحذفوا الألِف من (كَلَا) الأولىٰ وأدغموا بعد ذلك اللام في اللام فصارت حرفًا مُشددًا وصارت (كلَّا).

وذهبوا إلىٰ هذا المذهب لعلتين:

أحدهما: أنّ ذلك أبلغ في الاختصار الذي تعرفه العرب في لسانها.

والثاني: أنه أبلغ في المعنىٰ؛ لأن التشديد للكلمة يورث قوةً فيها، وهذا الذي ذكروه في التشديد واقعٌ في أداء الكلمة وفي معناها، فإن الشَّدّ علىٰ المخرج يورث قوةً في الكلمة، وهذه القوة اللفظية تنقلب إلىٰ قوةٍ معنوية، فليس قول الإنسان: قتل كقوله: (قتَّل) فإن التشديد في التاء يُكسبها قوة لفظية بالتشديد لها؛ كما يكسبها قوةً معنوية؛ لأن تضعيف الحرف دالٌّ علىٰ قوة الوصف المنسوب إليها، فليس فعل هذا بـ(قتَل) كفِعل ذاك بـ(قتَّل).

وهذا المذهب هو مذهب ثعْلب من أهل العربية.

وقد رده المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بدليلين اثنين:

أولهما: أنه غير محفوظٍ عن القُدماء من أهل العلم بالعربية ممّن تقدم.

والثانية: أنه لا يتأيد بدليلٍ يُعوّل عليه.

وهذا الذي قاله ابن فارس هو مذهب جمهور أهل العلم، يرون أن كلمة (كلَّا) ليست كلمةً مُركبة؛ بل هي في أصل وضعها كلمةٌ [بسيطة] رجعت في لسان العرب علىٰ هذا البناء لإرادةٍ معانٍ عندهم سيذكر المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ اختيارها في ذلك.

ومن قواعد العربية: أن المدرك لقدر زائد في حكمٍ من الأبنية والمعاني يحتاج إلىٰ دليل.

فمثلًا من قواعد العربية أن الأصل في الكلام: عدم التقدير، فإذا جاء مُتكلِّمٌ بذكر التقدير، فلابد من إقامة دليلٍ علىٰ وجود الحذف.

ومن هذا الجنس هذه القاعدة: أن الأصل في كلام العرب أنه وضع في لسانهم للدلالة علىٰ معانٍ وضعًا بسيطًا غير مُركب.

فإذا ادُّعي التركيب في نحت كلمة، وأنها نشأت متولدةً من كلمتين أو أكثر من ذلك كما في النحت عندهم فإنه لابد من دليلٍ صادق علىٰ أن هذا هو مُراد العرب.

والمناسب لعُرف العرب هو عدم التركيب في الكلام؛ لأن لسان العربي لسانٌ مبنيٌّ علىٰ اليُسر، وطبعهم عدم طلب التعقيد لا في كلماتهم ولا في أحوالهم، ولا في أدويتهم التي كانوا يتعارفون عليها في الزمن الأول في أزمان الجاهلية مما هو قبل الإسلام، ثم سرىٰ بعضه مما بقي في عهد الإسلام.

ولذلك تجد مثلًا أن أدوية أطباء العرب مبنيةٌ علىٰ تفريد الدواء وعدم تركيبه، بخلاف أدوية اليونان فإنها مبنيةٌ علىٰ تركيب الدواء وعدم تفريده.

باب الوجه الأوّل من (كلَّا) وهو باب الرَّد

اعلم أنّك إذا أردت ردّ الكلام بـ(كلَّا) جاز لك الوقفُ عليها؛ لأنّ المعنىٰ قد تم عند الرد، وذلك أن يقول لك القائل: أكلت تمرًا؟ فتقول: كلا؛ أي: إنّي لم آكله. فقولك: (كلَّا) مبنيٌّ علىٰ خبر قد ذكره غيرك ونفيته أنت، قال الله عَزَّوَجَلَّ في قصّة من قال: ﴿لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ

عَهۡدًا ﴿٧٨﴾ كَلَّاۚ﴾ [مريم]، أي أنّه لم يطّلع ولم يتّخذ العهد. وأصوب ما يقال في ذلك أنّ (كلّا) ردّ للمعنيين جميعًا، وذلك أنّ الكافر ادّعىٰ أمرًا فكُذِّب فيه، ثم قيل: أتراه اتخذ عهدًا أم اطّلع الغيب؟ كلّا أي: لا يكون ذا ولا ذاك.

وأمّا قوله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمۡ عِزّٗا ﴿٨١﴾ كَلَّاۚ﴾ [مريم]، فذا رد لما قبله وإثبات لما بعده، لأنّهم زعموا أنّ الآلهة تكون لهم عزّا، وذلك لقولهم: ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] فقيل لهم: ﴿كَلَّاۚ﴾، أي ليس الأمر كما تقولون، ثم جيء بعد بخبر وأكّد بـ (كلّا)، وهو قوله: ﴿سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ﴾ [مريم:٨٢]، وأمّا قوله في سورة المؤمنين: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ﴾ [المؤمنون:١٠٠]، فلهذا مواضع ثلاثة:

أحدها: ردٌّ؛ لقوله: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ [المؤمنون]، فقيل له: (كلّا)، أي لا تُرد.

والثّاني: قوله تَعَالَىٰ: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾ [المؤمنون:١٠٠]، فقيل: (كلّا)، أي لست ممن يعمل صالحًا، وهو لقوله: ﴿وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ﴾ [الأنعام:٢٨].

والموضع الثالث: تحقيق لقوله: ﴿إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾ [المؤمنون:١٠٠].

وأمّا قوله في الشعراء: ﴿وَلَهُمۡ عَلَيَّ ذَنۢبٞ فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾ قَالَ كَلَّاۖ﴾ [الشعراء]. فهو ردٌّ وردعٌ في أخرىٰ.

فأمّا مكان الرّدع فقوله: ﴿فَأَخَافُ أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ فقيل له: (كلا)؛ أي: (لا تخف) فهذا ردع.

وأمّا الرد فقوله: ﴿أَن يَقۡتُلُونِ ﴿١٤﴾﴾ فقيل له: يقتلونك، فنفىٰ أن يقتلوه، وأعلم أنّهم لا يصلون إلىٰ ذلك.

وأمّا قوله في هذه السّورة: ﴿قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّاۖ﴾ [الشعراء]، فهو نفيٌ لما قبله وإثبات لما بعده.

وأمّا قوله في سورة سبأ: ﴿قُلۡ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلۡحَقۡتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّاۚ﴾ [سبأ:٢٧]، فلها مواضع ثلاثة:

أحدها: أن يكون ردّا علىٰ قوله: (أَرُونِي) أي أنّهم لا يرون ذلك وكيف لا يرون شيئا لا يكون.

والموضع الثاني: قوله ﴿أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ [سبأ:٢٧]، فهو ردّ له، أي: إنه لا شريك له.

والثّالث: إنها تحقيقٌ لقوله: ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [سبأ].

وقال بعض أهل التّأويل: إنّما هو ردّ علىٰ قوله: ﴿أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ [سبأ:٢٧] دون أن يكون ردًّا علىٰ قوله: (أَرُونِي)، وذلك أنّ النّبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمّا أُمر بأن يقول لهم: (أَرُونِي) قال لهم ذلك، فكأنهم قالوا: هي هذه الأصنام التي تضرّنا وتنفعنا، فأروه إيّاها فردّ عليهم ذلك بقوله: ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ﴾ [سبأ:٢٧]، أي: الذي يضرّكم وينفعكم ويرزقكم ويمنعكم هو الله، ومعنىٰ قوله: (أَرُونِي) ههنا: أعلموني.

وأمّا قوله في سورة: سأل سائل: ﴿لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ﴾ الآية ﴿كَلَّآ﴾ [المعارج:١١-١٥] فردٌّ لقوله: ﴿ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾ [المعارج]، أو ردّ لقوله: ﴿لَوْ يَفْتَدِى﴾ [المعارج].

وقال في هذه السّورة: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [المعارج] من نطفةٍ كما خلقنا بني آدم كلّهم، ومن حُكمنا في بني آدم ألا يدخل أحدٌ منهم الجنّة إلّا بالإيمان والعمل الصّالح، فلم يَطمع كلّ امرئ منهم ليس بمؤمن ولا صالح أن يدخل الجنّة، ولا يدخلها إلّا مؤمنٌ صالح العمل.

وأمّا قوله في سورة المدثر: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ﴾ [المدثر:١٦]، فهو ردٌّ ألّا يُزاد، وذلك أنّ الوليد كان يقول ما أعطيت أُعطيته إلّا من خير، ولا حُرمه غيري إلّا من هوىٰ، فإن كان ما يقوله محمدٌ حقًّا فما أُعطاه في الآخرة أفضل، فقيل له: ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ﴾ [المدثر:١٦]، أي لا يكون ذلك. وكذلك قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ﴾ إلىٰ قوله: ﴿رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾﴾ [الفجر].

ومن الردّ قوله: ﴿بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا﴾ [المدثر]؛ أي: لا يكون ما يُريد.

وقوله في سورة القيامة: ﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾﴾ [القيامة]، فهو ردٌّ لما قبله؛ لأنه قال: ﴿أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾﴾ [القيامة] فقيل: كلا؛ أي: لا مفر، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿لَا وَزَرَ ﴿١١﴾﴾ [القيامة]، وقوله: ﴿لَا وَزَرَ ﴿١١﴾﴾ [القيامة] تأكيدٌ لقوله: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا﴾ [المطففين]، فهو ردٌّ أي أنّها ليست بأساطير الأوّلين.

ومن الردّ قوله: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣ كَلَّا﴾ [الهمزة]؛ أي: ليس كما يظن فإنّ ماله لن يُخلده.

فذا ما في القرآن من النفي والرد بـ (كلّا).

ومما كان في أشعار العرب منه وهو كثيرٌ قول القائل:

فقَالُوا قَد بَكيت فَقُلتُ كَلَّا ... وَهَل يَبكِي مِنَ الطَّربِ الجَلِيدُ

فنفىٰ بذلك قولهم: (قد بكيت)، وقال ابن الدّمينة:

أَردت لِكَي مَا تَجمعِينَا ثَلاثة ... أخِي وابن عمِّي ضلة مِن ضلالك

أردت بِأن نَرضَىٰ ويتَّفِقَ الهَوَىٰ ... عَلَىٰ الشِّركِ كَلَّا لَا تظُنِّي ذَلِكِ

وقال آخر:

ألَيسَ قَلِيلاً نظرَة إن نَظرتُهَا ... إليك وكَلَّا لَيسَ مِنكِ قَلِيلُ

وصف النّظرة بالقلّة، ثمّ تدارك فنفىٰ أن تكون نظرتُه إليها قليلة.

ذكر المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في هذا الباب الوجه الأول من معاني (كلّا) وهو: الرد، وهذا المعنىٰ هو عُظْم ما في كلام العرب والقرآن الكريم، فإنَّ (كلا) أكثرُ ما تكون في لسانهم لإرادة الرَّد، والمراد بالرد نفي ما تقدَّم عليها، والمناسب حينئذٍ الوقوف علىٰ (كلا)؛ لأن المتكلم يذكر شيئًا وينفيه بقوله: (كلا) تحقيقًا لردِّ ما سبق، وإنما يتحقق إرادة الرد بالوقف عليها.

ولهذا فإنَّ قاعدة الوقف في القرآن المتعلقة بـ(كلا) من فروعها أن الآية إن كانت مُشتملة علىٰ معنىٰ الرد فالمناسب حينئذٍ أن تقف علىٰ (كلا) يتحقق المقصود من وضعها، وهو رد ما تقدَّم عليها.

وقد أطنب المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ في ذكر آي القرآن الكريم التي جاءت علىٰ هذا المعنىٰ، وسيق قبلها معنًىٰ باطل، ثم أُردف ذلك المعنىٰ بكلمة (كلا) تحقيقًا لردِّ ما ذُكر قبلها ونفيه.

وإنَّما اختير ردُّه بـ(كلا) دون غيرها من أدوات النفي لما فيها من القوة في لسان العرب، فإن العرب إذا قالت في مقابلة الشيء (كلا) هي عندهم أقوىٰ من الاقتصار علىٰ (لا)؛ لأن من قواعد العربية أن الزيادة في البناء تدل علىٰ الزيادة في المعنىٰ، وبناء (كلا) أكثر من بناء (لا) مُجردةً فإذا قيل في مقابلة شيءٍ مذكور (كلا) فإن النفي هنا مُتأكدٌ بخلاف ما إذا قوبل بـ(لا) فقط فإن النفي في القوة والبراءة ليس كالنفي المقابل للنفي بـ(كلا).

ولذلك فإن من قواعد فَهْم (كلا) في كلام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن (كلا) إذا جاءت للرد في القرآن الكريم،

فإنما تجيء لرد معانٍ باطلة، لا يصلح لاجتزازها علىٰ وجه البلاغة الكاملة إلا مبادرتها بتسليط (كلا) عليها؛ لتنتزع هذا المعنىٰ من النفوس إذا تلقّت هذا المعنىٰ، فعند ذلك يؤتىٰ بـ(كلا) لتعلَم النفوس أن هذا المعنىٰ الذي ذُكر معنًىٰ متمحض في الباطل فيؤتىٰ بهذه الأداة (كلا) لاجتثاثه اجتثاثًا كاملًا من النفوس.

باب (كلّا) إذا كانت تحقيقًا لما بعدها

وذلك قوله: (كلَّا لأَضرِبنَّك) ومنه في كتاب الله ﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ١١﴾ [عبس]، فـ(إنّ) يكون تأكيدًا و(كلَّا) زيادة تاكيد.

ومثله ﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٥﴾ [النبأ]، وكان بعض أهل التّأويل يقول: هو ردٌّ للشيء قد تقدّم إلَّا أنّه لم يُذكر ظاهرًا، وذلك قوله: ﴿ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ ٣﴾ ثم قال: ﴿كَلَّا﴾ [النبأ:٤].

فهو ردٌ علىٰ قوله: ﴿مُخۡتَلِفُونَ ٣﴾ [النبأ] ومعناها لا اختلاف فيه.

ومن التّحقيق قوله: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ ٢٣﴾؛ أي: أنّه لم يقض ما أمر به، وكان بعضهم يقول: معناها [إن] ومثله قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذۡكِرَةٞ ٥٤﴾ [المدثر]، ومنه ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ٩﴾ [الانفطار]، وهو تحقيقٌ لما بعده، ومنه، ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ﴾ [المطففين:٧]، ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ﴾ [المطففين:١٨]، ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ٦﴾ [العلق]، ﴿كَلَّا لَئِن لَّمۡ يَنتَهِ﴾ [العلق:١٥].

ذكر المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هنا بابًا آخر تضمن معنًىٰ ثانيًا من معاني (كلا) وهو إرادة التحقيق، فيؤتىٰ بهذه الكلمة لتحقيق معنىٰ مُراد، وإذا كانت علىٰ هذا المعنىٰ فإنها حينئذٍ تتعلَّق بما بعدها، فتأتي في أول الكلام ويكون الكلام المراد تحقيقُه: هو التابع لها، الواقع بعدها، خلافًا للمعنىٰ الأول؛ فإن (كلا) في المعنىٰ الأول وهو الرد تكون متعلقة بما قبلها، وفي هذا المعنىٰ وهو التَّحقيق تكون متعلقةً بما بعدها.

وقد اختلف أهل العربية في معناها عند إرادة التحقيق: هل هي بمعنىٰ: (حقًّا)، أو بمعنىٰ (ألَا) الاستفتاحية، أو بمعنىٰ: (إي ونعم) علىٰ ثلاثة أقوال:

واختار جمهور أهل العلم أنها تجيء حينئذٍ بمعنىٰ: (ألَا) فمثلًا قوله تَعَالَىٰ: (﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٤﴾ [النبأ]) يكون المعنىٰ: ألا سيعلمون، ورجَّح هذا ابن هشام في «مغني اللبيب».

ومن قواعد أداء القرآن الكريم: أن (كلا) إذا وقعت في آيةٍ علىٰ هذا المعنىٰ فلا يُناسب حينئذٍ أن يقف

القارئ عليها، فلا يقول: (كلا)، (سيعلمون) لأن الوقف كما سبق في ملاحظة الرد أولىٰ، فإذا جاء ذكر شيء مُستحقٍ للرد، فإن التالي إذا تلا القرآن وأراد كمال الأداء فإنه يقف علىٰ (كلا) فمثلًا إذا قال: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا﴾، ﴿كلا﴾، الوقف هنا أنسب لما فيه من ملاحظة الرد لما تقدم.

وإذا تلا من القرآن ما هو علىٰ معنىٰ التحقيق فحينئذٍ فالأوفق ألّا يقف عليها؛ بل يقرأ: (﴿كَلَّا سَيَعۡلَمُونَ ٤﴾) لأنها متعلقةٌ بما بعدها.

ومن قواعد فَهم القرآن حينئذٍ أن يُعلم أن (كلا) التي للتحقيق إنما يتبعها شيءٌ مُحقق كما أن (كلا) التي للرد إنما يسبقها شيء مُبْطل، فـ(كلا) في موضع الرد موضوعة للإبطال، و (كلا) في موضع التحقيق موضوعةٌ للدلالة علىٰ ثبوت المعنىٰ المذكور فيها.

وإذا تأملت هذا في الآية التي ذكر المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فإنك تجده.

باب الرّدع

وأمّا ما كان ردعًا فقوله: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ١﴾ ﴿كَلَّا﴾ ردعهم عن التّكاثر ثمّ أعاد أخرىٰ فقال: (كلا)، ثم أعاد ثالثة: ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ﴾، ويحتمل أن يكون تحقيقًا لقوله: ﴿لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ٦﴾ وقال قوم: (كلا) ردٌ لهذا المعنىٰ أي أنكم افخترتم وتكاثرتم، ظانين أن هذا ينفع شيئًا، ثمّ أكّد ذلك بقوله: (كلا) ثمّ (كلَّا) إبلاغًا في الموعظة.

ومنه قوله: ﴿فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ١٠ كَلَّآ﴾؛ أي: لا تفعل ذلك.

ومنه: ﴿كَلَّا لَا تُطِعۡهُ﴾ [العلق:١٩].

ذكر المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هنا بابًا ثالثًا: تضمن معنًىٰ ثالثًا لكلمة (كلَّا) وهو إرادة الرّدع والزّجر.

وذكر رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من الأمثلة القرآنية ما يُصدق هذا المعنىٰ علىٰ ما ارتضاه، فتكون موضوعةً في بعض سياق الكلام علىٰ إرادة زجر من توجَّه إليه الكلام، وردعه عن المضيء فيما يرومه ويقصده.

وهذا المعنىٰ الذي ذكره أبو الحسين ابن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ التحقيق أنه راجعٌ إلىٰ معنىٰ الرد، لأن الرد نوعان اثنان:

أحدهما: ردٌّ لما مضىٰ وانقضىٰ، وفي مُقابل مذكورٍ سابق.

والثاني: ردٌّ لما يُستقبل ويروم العبد المضيَّ فيه، وهذا يختصُّ باسم الرَّدع فيكون الردع بعض الرد، فيكون بينهما عموم وخصوص، فالرَّدّ يشمل إبطال ما سبق وما يأتي.

ويختص الردع بإبطال المستقبل ويُسمىٰ ردعًا وزجرًا، ويكون من قبيل الرَّد.

فيكون هذا المعنىٰ الذي ذكره أبو الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ مردودًا إلىٰ المعنىٰ الأول الذي ذكره.

وإذا تأملت الأي الذي ذكرها رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ تجدها متعلقة بما يُستقبل، فمثلًا في سورة التكاثر لما ذُكر إشغال الناس بالتكاثر، وقيل: ألهاكم التكاثر، ثم ذُكر النفي بـ(كلا)، كان هذا موضوعًا لأجل كف الناس وزجرهم مع التكاثر، وهذا واقعٌ فيما يُستقبل، وكذلك لما قيل له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾ [العلق:١٩]) هذا في ملاحظة ما يُستقبل من أمره صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ومن قواعد الأداء القرآني حينئذٍ: أنها إذا كانت موضوعةً لهذا المعنىٰ الذي هو بعض الرد فإنه يجوز حينئذٍ لكمال الأداء أن تقف عليها، أو أن تصلها بما بعدها.

باب صلة الأيمان

وأمّا ما كان من صلة اليمين فقوله: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝٣٢﴾ [المدثر]، فهو صلة اليمين وتأكيد لها، ويقال: إنّ معناها (ألا والقمر- إي والقمر). كذا كان أبو زكريا الفراء يقوله. هذا ما في القرآن.

فإن سأل سائل عن (كلَّا) فقل: هي في كتاب الله أربعة أوجه.

ذكر المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هنا بابًا رابعًا في معاني (كلا) ذكر فيه معناها الرابع، وهي أنها تجيء صلةً لليمين، والمراد بكونها صلةً لليمين؛ أي: تأكيدًا للقسم.

والمراد بالصِّلة في كلام العرب ما يكون زائدًا بحيث لو لم يُذكر لكان الكلام تامًا؛ لكن مذهب المحققين كما ذكره ابن هشام في «الإعراب عن قواعد الإعراب» وغيره أنه لا يطلق علىٰ شيء من القرآن زائدٌ بل يُقال تأدبًا: إنه صلةٌ؛ يعني: وصلٌ للكلام، فهو يصل نسق الكلام مع أنه لو أُسقط من الكلام تقديرًا فإن الكلام مُستقيمٌ فإن القَسم مثلًا التي أوردها المُصَنِّف قائم ولو لم تُذكر (كلا) فإن الواو من حروف القسم، وحينئذٍ فإنها إنما وضعت لإرادة معنىٰ زائد، فإن الصِّلات في الكلام القرآني لا تكون إلا لإثبات معانٍ زائدة، كقوله تَعَالَىٰ: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [فاطر: ١١]، فإن الكاف هنا في أصح الأقوال

صلةٌ بمعنىٰ: ما ذكرنا آنفًا من الزيادة، فجيء بها لوصل الكلام، والحامل علىٰ عدِّها صلةً تأكيد المعنىٰ، فهذه الآية مؤكدةٌ لنفي وجود المثل له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهذا المعنىٰ الذي ذكره أبو الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من كون (كلا) صلةً لليمين يرجع إلىٰ المعنىٰ الثاني الذي ذكره وهو التحقيق، فإن (كلا) إذا أُريد بها التحقيق تجي علىٰ معنيين اثنين:

أحدهما: تأكيدٌ مُجرد، وهو ما خلا من القَسم.

والثاني: تأكيدٌ مُحقق، وهو ما اقترن للقسم، ويكون هذا المعنىٰ أيضًا عائدًا إلىٰ التحقيق.

وسبق أن عرفت أن من قواعد الأداء القرآني في التحقيق: أن المناسب حينئذٍ وصل الكلام، فتقرأ: (﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [النبأ]).

وهذا في الموضع الذي يقترن بالقسم أبلغ.

فالأبلغ ألا يقف التالي علىٰ (كلا) عند اقترانها بقسمٍ تكون صلةً له، بل يقرأ: (﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝٣٢﴾ [المدثر]) بتأكيد هذا المعنىٰ.

وينتج من هذا أيضًا أن من قواعد فَهم معاني القرآن الكريم التي سبق ذكرها: أن ما يتبع (كلا) التي للتحقيق وهو أمرٌ مُتحققٌ، وإذا كان ذلك الأمر قسمًا كان أبلغ في التحقّق، لأن القسم في كلام العرب إنما يوضع في المعظمات، وعلىٰ هذا جاء في القرآن الكريم.

هذاما في القرآن فإن سأل سائلٌ عن (كلا) فقل هي في كتاب الله علىٰ أربعة أوجه:

يجمعها وجهان:

ردّ وردع، وهما متقاربان.

وتحقيق وصلة يمين، وهما متقاربان.

فالردّ مثلت: ﴿لِّيَكُونُوا۟ لَهُمْ عِزًّا ۝٨١ كَلَّا ۚ﴾ [مريم]، وهو الذي يوقف عليه.

والرّدع مثل قوله: ﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤﴾ [النبأ].

والتّحقيق مثل: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨﴾ [المطففين].

وصلةُ اليمين مثل قوله: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ۝٣٢﴾ [المدثر].

واعلم أنّه ليس في النّصف الأوّل من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ (كلّا)، وما كان منه في النّصف الآخر فهو الذي أوضحنا معناه حسب ما لاح واتّجه.

والله ولي التوفيق.

وتمت بحمد الله وعونه وحُسن توفيقه، وصلّىٰ الله علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وسلّم.

بعد أن فرغ المُصَنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ من ذِكر المعاني الأربعة التي اختارها لـ(كلا) رجع إلىٰ تقرير هذه المعاني، ثم أشار أن هذه المعاني يقع بين كل اثنين منها مقاربةٌ: فذكر أن الرد والردع مُتقاربان، وأن التحقيق وصلة اليمين مُتقاربان.

وتحقيق المسألة: أن يُقال: إنَّ (كلا) في كلام العرب، وفي القرآن الكريم موضوعة لمعنيين اثنين:

أحدهما: الرَّد.

والثاني: التَّحقيق.

* ثم إن المعنىٰ الأول وهو الرَّد: يجيء علىٰ نوعين:

أحدهما: ردٌّ مُجرّد مُتعلِّقٌ بما مضىٰ.

والثاني: ردٌّ زاجرٌ عمَّا يُستقبل، ويُسمىٰ الثاني ردْعًا.

* كما أن المعنىٰ الثاني لها في القرآن وهو التحقيق يجيء علىٰ قسمين:

أحدهما: تحقيقٌ مُجرَّد، ويكون المراد به إثبات ما بعده.

والآخر: تحقيقٌ مؤكّد، وهو الواقع صلةً لليمين.

ثم ختم رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ هذه الرسالة بذكر فائدةٍ في تعيين مواضع (كلا) هي القرآن الكريم؛ فذكر أن (كلا) ليست في النصف الأول من كتاب الله يعني المصحف.

وإنما هي في النصف الثاني من كتاب الله عَزَّوَجَلَّ، وعدد مواضع ورودها كما ذكره ابن هشام في «المغني» وغيره من أهل العلم هي ثلاثةٌ وثلاثون موضعًا في كلام الله عَزَّوَجَلَّ.

وقد ذهب بعض أهل العلم إلىٰ أن (كلا) أكثر ما تجيء في السور المكية؛ لأن النفوس حينئذٍ مُناسبة للرّد والتحقيق، فهي تحتاج فيما يُراد إبطاله إلىٰ نفيٍ قوي، واستعملت (كلا)، وتحتاج فيما يُراد إثباته إلىٰ تحقيقٍ قوي فاستعملت (كلا).

وهذا آخر التقرير علىٰ هذه الرسالة النافعة من كلام أبي حسين بن فارس رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ.

والحمد لله رب العالمين. وصلىٰ الله وسلم علىٰ عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين.